# السرد

## مقدمة عامة

إن الحاجة إلى السرد، التي صقلت طوال قرون، لصيقة بالإنسان، فهي تكون صفة تكوينية وجوهرية له. والغاية الأصيلة للمحكي هي تفسير العالم وتفسير الذات. منذ فجر الأزمنة، كان السرد المنهج الذي بلوره الإنسان لفهم العالم ولفهم ذاته. ليست اللغة كافية وحدها للمعرفة وللتفسير. إن اللغة ، في هذا الإطار، هي الأداة، والمحكي هو المنهج، معرفة- كيف Le know- how .

من هنا، وجدنا السرد يحضر في مختلف مناحي الحياة الإنسانية، ويرافق هذه الحياة في مختلف تطوراتها، إلى الحد الذي جعل الباحثين، وخاصة علماء النفس المعرفيين، يرونه مكونا بيولوجيا للإنسان، ويرون أن الدماغ الإنساني مصمم لينتج الحكايات وليتلقاها. فلا يمكننا وفق هذا التصور أن نستوعب عمق الكائن الإنساني، والواقع الذي يحيط به، والعصر الذي يعيش فيه إذا لم نأخذ في الاعتبار أن الإنسان كائن سارد. إنه يحيا بالقصص، و يشاهد وجوده الخاص بوصفه قصة. وأكثر من ذلك، تتجلى الحاجة المستمرة إلى منح الأحداث، والأفكار، والأحاسيس شكلا سرديا مرتبط، بقوة، بالهدف الذي يرجى بلوغه. ذلك أن اختيار النبرة، والمعجم، والتفاصيل المعلنة لا يكون ، في إطار سرد قصة، اعتباطيا أو بلا جدوى.

إن القصص لا تنسى بسرعة، والجميلة منها تسافر في الزمان وفي المكان، وتحفز الجانب التعاطفي في الإنسان، وفضوله، وخياله. ولذلك، بالتحديد، يمكننا تثبيت مفهوم ( خاصة إذا كان مجردا)، وفهم إحساس، وإيضاح واقعة أو تفسيرها بطريقة مباشرة وفعالة. ومن ثم، يجب قبول أن ما يمس أكثر، وما يهم أكثر، وما يترسب أكثر في الذاكرة هو ما يأخذ شكل المحكي المصحوب غالبا بسيرورة درامية. وإن تحويل الوقائع الملموسة والروح إلى محكي هو ما يسمح بالتماهي، وهو الطريقة الأكثر نجاعة لبلوغ الفهم، والإضاءة

التفسيرية، والذكرى.

إن المحكي، منتوج الفاعلية السردية، هو ، حسب (جيروم برنير Gérôme Bruner 1999 ) "واحد من الأشكال الأكثر كونية والأكثر قوة للخطاب وللتواصل الإنساني." فهو ليس إبداعا أدبيا وفنيا فحسب، إنه نمط فكر يسمح بتشكيل التجربة الإنسانية ونقلها بما هي ثقافة، ويعطي للأفعال الإنسانية معنى ويقومها بوصفها نماذج ونماذج مضادة (1). والسرد يعمل بوصفه مبدأ منظما يبنين التمثل الذي يعطيه السارد لقصته حين يحكيها. فالفاعلية السردية هي التي تبني حياة في قصة وفقط من خلال محكي، تحت هذا الشكل من الخطاب، تظهر.

إن الإنسان، بالسرد، يبني لنفسه **هوية شخصية** متداخلة مع **هوية سردية** هي التي تحيل، حسب بول ريكور1991 Paul Ricoeur ( 2) إلى مسائل الدوام permanence ( الأنية mêmeté)، والتحول ( الغيرية ipséité). إن الهوية الشخصية تتكون هكذا طوال السرود التي تنتجها، وتلك التي تدمجها باستمرار. لذلك، فبعيدا عن أن تتكلس في نواة صلبة، فإن ال"أنا" تتحول انطلاقا من محكياتها الخاصة، وكذلك من خلال تلك التي انتقلت بالتقليد أو الأدب الذي زرعت فيه، والتي لا تتوقف عن إعادة تنظيم مجموع التاريخ الشخصي.

من هنا، فإن قراءة القصص، وكذلك الاستماع إليها ومشاهدتها تحمل العديد من الفوائد منها:

- عيش حيوات عديدة في حياة واحدة.
- فهم الحياة فهما عقلانيا يربط النتائج بالأسباب.
- اكتساب خبرات جديدة ومختلفة وتعميق ما نتوفر عليه.
- تمتين اللغة والمساعدة على التعبير.
- إغناء المعجم اللغوي بالكلمات وبالسياقات.
- اكتساب العديد من المعارف بشكل غير منتظر ومشوق.
- التمكن من التحول من قراءة القصص إلى كتابتها.
-

- (1)Gérôme Bruner,Pourquoi nous racontons-nous des histoires ?, Ritz, Petit forum, Paris, 1999, p. 40
- (2) Paul Ricoeur, Temps et récit, Tome3, Seuil, Paris , p.30